المنار
١٣١٥
فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب
يؤخذ الحكم من بيانه ومن بيان ما يعارضه ومن بيان ما يؤيده ومن بيان ما يؤيد ما يعارضه
(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)
(مصر في يوم الاحد غرة رمضان المعظم سنة ١٣١٨ — ٢٣ ديسمبر (ك١) سنة ١٩٠٠)

المحاورات بين المصلح والمقلد

« المحاورة الثانية »

الاستدلال على قيام الساعة بالقرآن . طرق هذا الاستدلال وابطالها . عدم قبول قول بغير دليل . قطعية ادلة المسائل الاعتقادية . منعهم الاجتهاد انما هو في الفروع دون الاصول . الوقوف عند اجماع السلف . ادعاء المقلدين الاجتهاد في العقيدة . الخلاف في ايمان المقلد . حديث ان للقرآن ظهراً وبطناً . حكاية سيدنا عيسى مع المؤدب . الاستدلال على قيام الساعة بحروف اوائل السور . الطعن في هذه الاستدلالات عدم الثقة بأكثر ما يروى عن ابن عباس في التفسير . حكاية او ثنتان عن بعض الشيعة في الاستنباط من اوائل السور

عاد الشيخ المقلد والشاب المصلح الى الكلام . وفاء بما تعاهدا عليه من بضعة ايام . وافتتح الشيخ المحاورة . واستأنف المناظرة . فقال

(المقلد) : لم اترك الجواب عن كلامك في مجلسنا الماضي لعجز ولا لكونه مقنعاً وانما رأيت في بعضه إبهاماً وغموضاً لا بد لي من استيضاحه قبل الخوض فيه وهو قولك ان لك فهماً في كون ترك الشريعة هو العلة الأولى

او كما يقولون علة العلل لضعف المسلمين ربما كان غير ما اريد مع ان هذا امر واضح لا يصح ان يكون محلاً للاختلاف فى الفهم . ورأيتك انكرت المهدى ولم ينكره قبلك احد من المسلمين الا من لا يعتد بانكاره كابن خلدون فقد كنت سمعت عن المرحوم على باشا مبارك ان هذا الرجل انكر المهدى وطعن فى اسانيد الاحاديث المروية فيه . وهو لم يكن عالماً وانما كان مؤرخاً. ثم انك انكرت قرب قيام الساعة مع انه صار من البديهيات التى يعرفها الصبيان والنسوان ولم ترض بدلالة الآية والحديث عليها كأنك تنكر ان فى الكتاب والسنة اخباراً عن المغيبات . ولم ترض بهذا كله حتى قلت تلك الكلمة الكبيرة التى لو مزجت بماء البحر لمزجته وهى « ابطال المذاهب » وجعل المسلمين على طريقة واحدة ولم افهم معنى هذه الطريقة التى تنافى المذاهب والمعروف ان اهل طرائق التصوف كلهم متبعون للمذاهب الأربعة بل الأقطاب الأربعة رضى الله عنهم كانوا كلهم شافعية الا ان الشيخ عبد القادر رجع الى مذهب الحنبلية اخيراً لأجل احيائه لأنه كاد يندرس . وان اعترضت علىّ بقول القطب الشعرانى ان هؤلاء الاقطاب قد اطلعوا بالكشف على عين الشريعة وصاروا مجتهدين فاعتراضك يكون حجة عليك لأنهم باطلاعهم على عين الشريعة رأوا ان جميع أئمة المذاهب مصيبون وان اختلافهم رحمةٌ ولذلك لم يتركوا المذاهب بعد هذا الاطلاع ولا امروا الناس بتركها . فكل كلمة من كلماتك تحتاج الى شرح طويل ولذلك اخترت تأخير المناظرة لأراجع الكتب واستحضر النقول للرد عليك وإرجاعك عن هذه الشبه المتمكنة منك

(المصلح) : انى اشترط فى مناظرتنا هذه شرطاً لا بد منه ولا

يظهر الحق الا به وهو ان لا يقبل احدنا للآخر مناقضة ولا معارضة الا بسند قوي . وبرهان جلي . ولا ينهض برهان شرعي على مسئلة اعتقادية الا اذا كان نصاً قطعياً لآية قرآنية او حديث متواتر لان اخبار الآحاد وان صحت فهي ظنية الدلالة والظن فى الاعتقاد ضلال . قال تعالى « ان الظن لا يغني من الحق شيئاً » وقال « فماذا بعد الحق الا الضلال » . واذا كانت الاحاديث الصحيحة غير المتواترة لا يحتج بها فى المسائل الاعتقادية بالاتفاق فما بالك بكلام العلماء وبشارات الصلحاء أليست اجدر بعدم القبول ؟

(المقلد) : لقد قلت قولاً اصولياً لا ينكر ولكن العمل به من وظيفة المجتهدين ويظهر لي انك تدعي الاجتهاد وانى اخشى على دينك من من هذه الدعوى فمن استبد برأيه زل والله تعالى يقول « فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا ان الله عزيز حكيم » وهو تهديد عظيم

(المصلح) : الآية حجة عليك لانها مصرحة بان الوعيد انما ينتظر من جاءته البينات ولم ينظر فيها ويهتد بها فهي تتناول المقلد كما تتناول المعطل والجهول المهمل . ثم ان الذين منعوا الاجتهاد انما منعوه فى الفروع واما المقلد فى اصول الدين فاهوز ما قالوا فى شأنه ان إيمانه مختلف فيه وبعضهم ينقل الاجماع على عدم صحة إيمانه . واذا كان بحث الاجتهاد والتقليد من اهم المسائل التى نتناظر فيها فالزامك اياي بالتقليد من غير دليل هروب من المناظرة وترك لها

(المقلد) : انا لست مقلداً فى عقيدتى ولا آمر احداً بالتقليد فيها وإنما اقول يجب على المجتهد ان يوافق بعض الائمة فى اجتهاده كالائمة الأربعة والامامين الاشعري والماتريدى واتباعهم من العلماء والا كان

كافراً او مبتدعاً او ضالاً فاسقاً

(المصلح) : عجباً لمن يدعي انه غير مقلد ويشترط فى الاجتهاد التقليد . ولو قلت يجب ان لا يخرج عما وقع الاجماع من السلف على انه من الدين لسلمت لك تسليماً لأن الاجتهاد المؤدى الى الخروج عما كان عليه الصدر الأول عامة اجتهاد فيما وراء الاسلام وانما كلامنا فى الاجتهاد فى الدين الاسلامى . ووجود الخلاف بين الائمة المهتدين فى مسئلة دليل على انها غير مجمع فيها على شيء ومتى كانت كذلك يجب ان يأخذ الناظر فيها بما يقوم عليه الدليل عنده من غير ملاحظة موافقة احد أو مخالفته ولا معنى لكونه متبعاً للدليل الا هذا وان كثيراً من المشتغلين بالعلم الديني يغشّون انفسهم بدعوى معرفة العقيدة بالدليل والبرهان ويحسبون انهم بقراءة ما كتبه السنوسى واضرابه من الأدلة على مسائل الاعتقاد قد سلموا من الخلاف فى ايمانهم او مما حكاه السنوسى وغيره من الاجماع على كفر المقلد

(المقلد) : انى احب قبل الخوض فى تحرير مسئلة الاجتهاد والتقليد ان اقف على رأيك فى الاستدلال على قيام الساعة بحساب الجمّل ونحوه من الاشارات القرآنية ومن دلالة الحروف فى اوائل السور فانى تشممت من كلامك السابق انك من اهل الجمود على الظاهر المخالفين لأهل الكشف الذين يعتمدون على هذه الدلالات بل هم الذين استخرجوها من القرآن بصفاء باطنهم ونورانية قلوبهم . وانى اقبل شرطك اذا انت سلمت لي بهذه الدلالات

(المصلح) : ان شرطى يشمل هذه الدلالات ايضاً فاذا نهضت لك

حجة عليها فانى اخضع لها لا محالة

(المقلد) : اما الاشارات القرآنية فقد ورد فى الحديث « إن للقرآن ظهراً وبطناً وحداً ومطلعاً » . واما دلالة الحروف فقد كانت معروفة عند الانبياء السابقين فانى رأيت فى قصص الانبياء ان سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام اخذته والدته لما كان له سبعة اشهر من العمر الى الكتاب ليتعلم ولا يخفاك انه تكلم فى المهد . فقال له المؤدب قل ابجد فقال عيسى للمعلم هل تدرى ما ابجد فعلاه بالدرة ليضربه فقال يا مؤدب لا تضربنى وان كنت لا تدرى فاسألنى حتى افسره لك قال فسره لى . فقال عيسى عليه السلام الألف آلاء الله والباء بهجة الله والجيم جمال الله والدال دين الله . هوز — الهاء هول جهنم والواو ويل لأهل النار والزاي زفير جهنم . حطى — حطت الخطايا عن المستغفرين . كلمن — كلمات الله لا مبدل لكلماته . قرشت — قرشهم فحشرهم . فقال المؤدب خذى ولدك ايتها المرأة فقد علم ولا حاجة له بالمؤدب . ولا شك ان هذا تعليم الهى يجب قبوله

وقد ورد فى ديننا ما يؤيد هذا . روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال فى تفسير (الم) الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه . وقال فى تفسير (الر) و (حم) و (ن) ان مجموعها اسم الله (الرحمن) وروى عنه ايضاً انه قال فى تفسير (الم) انا الله اعلم . وهذا يدل على ان الحرف يجوز ان يكون مأخوذاً من أوساط الكلمات واواخرها كما يجوز ان يكون مأخوذاً من أوائلها . وروى عنه ايضاً ان الألف من الله واللام من جبرائيل والميم من محمد اى ان القرآن منزل من الله تعالى بلسان جبرائيل على محمد صلى الله عليه وسلم . واما حساب الجمل ؛

(المصلح) : مهلاً حتى نفرغ من الاشارة ودلالة الحروف المفردة اما حديث ان للقرآن ظهراً وبطناً ويروى ظاهراً وباطناً فلا انكر انه رواه من اصحاب السنن ابن حبان وقد كان متساهلاً في الجرح ولذلك طعنوا في كثير من رجاله وان من الناس من يعتقد ان هذا الحديث من موضوعات الباطنية وما كل صحيح رواية يصح في الواقع . على ان العلماء فسروا الظاهر باللفظ او التلاوة والباطن بالتأويل أو الفهم وبعضهم قال الظاهر الاخبار بهلاك الاولين والباطن وعظ الآخرين . وقال ابن النقيب ان الظاهر هو المتبادر للعلماء من معنى الالفاظ والباطن اسراره التي تظهر لاهل الحقائق يشير الى حديث « الا ان يؤتى الله رجلاً فهماً في القرآن » ولا دليل على ان ذلك يكون غير الطرق المضبوطة في الدلالة . وقالوا ان الحد احكام الحلال والحرام والمطلع الاشراف على الوعد والوعيد او الحد منتهى ماراد الله من معناه والمطلع ما يتوصل به الى معرفته ولم يقل احد ان الحديث يدل على ما ذكرت . واما حديث سيدنا عيسى مع المؤدب فلا يصح

واما ماروى عن ابن عباس في التفسير فاكثره موضوع لا يصح لأنه مروى من طريق الكذابين الوضاعين كالكلبي والسدى ومقاتل بن سليمان ذكر ذلك الحافظ السيوطي وسبقه اليه شيخ الاسلام ابن تيمية بل ان رواية هؤلاء واضرابهم التفسير عنه هي المقصودة من قول الامام احمد رحمه الله تعالى « ثلاثة كتب ليس لها اصل المغازي والملاحم والتفسير » قالوا انه اراد كتباً مخصوصة في هذه المعاني الثلاثة غير معتمد عليها لعدم عدالة ناقليها وزيادة القصاص فيها وذكروا منها تفسير هؤلاء بل نقلوا عن الامام أنه قال في تفسير الكلبي « من اوله الى آخره كذب لا يحل النظر فيه » .

وقالوا ان كل من ينقل فى تفسيره الاحاديث الموضوعة لا يوثق بتفسيره بالمأثور ومن هؤلاء الثعلبي والواحدى والزمخشرى والبيضاوى

وقد نص المحدثون فى كتب الموضوعات على انه لم يثبت فى تفسير القرآن بالحروف نقل ومثلوا له بما وضعه المبتدعة بعد وقوع الفتن فى الملة كقولهم فى تفسير (حم عسق) ان الحاء حرب على ومعاوية والميم ولاية المروانيـة والعين ولاية العباسية والسين ولاية السفيانية والقاف قدرة المهدى . وقولهم ان العين عذاب الله والسين السنة والجماعة والقاف قوم يقذفون آخر الزمان . وقالوا ان هذا كله موضوع باطل

نكتفى بهذا فى ابطالها من حيث الرواية واما من حيث الدراية فكيف تصح دلالة الاقتطاع والاختزال وليس لها حد ولا رسم تعرف به اذ يمكن ان تجعل كل حرف مأخوذاً من أية كلمة فيها ذلك الحرف اذ لا ضابط للاخذ من وضع او عقل او طبع وحينئذ يصح ان يستدل بهذه الحروف على الكفر كما يستدل بها على الايمان . وأن يشار بها تارة الى الفلاح وطوراً الى الخسران . وانت ترى ان هذا من الهذيان . الذى يجب ان ينزه عنه القرآن

(المقلد) : احسنت واصبت فى هذه وثم طريقة أخرى للأخذ من من حروف اوائل السور وهى ان تجمع هذه الحروف ويركب من مجموعها كلام أو مما يبقى بعد حذف المكرر ومن الناس من استنبط أموراً غيبية من مهملها أو معجمها ولا اطيل عليك فى هذا فانك من سعة الاطلاع فوق ما كنت اظن فما قولك فى هذا ؟

(المصلح) : هذه الطريقة كسابقتها فى الفساد واذكر فيها واقعة لطيفة

حدثت فى بلاد الشام وهى ان بعض غلاة الروافض استنبط من هذه الحروف بعد حذف المكرر هذه الجملة (علىّ حق صراط نمسكه) واستدل بها على ان علياً كرم الله وجهه كان احق بالرسالة من محمد عليه الصلاة والسلام . وقد نميت هذه الجملة الى أحد أمراء العسكرية فضاق بها ذرعا وحاول تحويلها الى ما يوافق مذهب السنة فلم يجد الى ذلك سبيلاً حتى هداه أحد الوجهاء الى بعض العلماء الاذكياء [1] فكتب اليه ذلك العالم الفاضل ما نصه :

« بلغنى ان بعض الرافضة عبث باوائل الكتاب المجيد ففيّر مألوفه . ونكّر معروفه . وقدّم واخّر . فقتل كيف قدّر . ثم استنبط منها (على حق صراط نمسكه) مستدلا بذلك على رأيه الفاسد . ومعتقده الكاسد . ان علياً هو الاحق بالرسالة . فنقول حيث ارتضيت أوائل السور بيننا حكما . واستخرجت منها فى زعمك حكما . فلتتصرّف اوائل السور الاخيار منا على الاشرار . ولتميزّ بين اصحاب الجنة واصحاب النار . هذه اوائل السور تقول بلسان حالها فى خطاب القرآن . وما فيه من البلاغة والتبيان . « يحقّ لسامعك نصرطه * ناصرطه مسلك على حق * ما سُعِيَ لحق كنصرطه * لطه كم سعى نُصّار حق »

ولم يرض من مثل هذه الجمل الا بشر وجعل الجملة الأخيرة مطلعاً لأبيات نظمها فى المسئلة وهو

---

(١) يريد باحد الوجهاء المرحوم أحمد باشا الصلح وكان يومئذ ترجمان الوالى وبالعالم المجيب المرحوم الاستاذ الشيخ عبد الغنى الرافعي الشهير وكان عائداً من المجاورة فى دمشق الى بلده طرابلس الشام

لعله كما سمى نصار حق فها أنا ذاك من نصاوطه

وهذا الاستنباط للشيعة قديم وانما يستدل به المعتدلون منهم على احقية عليّ بالخلافة لا بالنبوة . قال العلامة الالوسي في تفسير (الم)

« ومن الطرائف ان بعض الشيعة استأنس بهذه الحروف لخلافة الامير على كرم الله تعالى وجهه فانه اذا حذف منها المكرر يبقى ما يمكن ان يستخرج منه (صراط عليٍّ حق نمسكه) ولك أيها السنيُّ ان تستأنس بها لما أنت عليه فانه بعد الحذف يبقى ما يمكن ان يخرج منه ما يكون خطاباً للشيعي وتذكيراً له بما ورد في حق الاصحاب رضي الله تعالى عنهم أجمعين وهو (طرق سمعك النصيحة) وهذا مثل ما ذكروه حرفاً بحرف . وان شئت قلت (صح طريقك مع السنة) ولعله أولى وألطف » . اهـ

(المقلد) : احسنت في هذه ايضاً ولا اراك تقوى على ابطال حساب الجمّل لانه استعمال قديم . روى عن ابي العالية رضي الله عنه انه كان يرى ان اوائل السور تدل على مُدد اقوام وآجالهم مستدلاً بحديث اليهود . وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على اليهود لما جاؤه الم البقرة فحسبوه وقالوا كيف ندخل في دين من مدته احدى وسبعون سنة فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا فهل غيره فقال المص والرالمر فقالوا خلطت علينا فلا ندري بايها نأخذ ووجه الدلالة انه اقرهم على استنباطهم بعدم الاعتراض وبتلاوته للمص وما بعدها على هذا الترتيب

«الكلام بقية»